

فضل الشكر

عباد الله: الحمد لله الذي أمر بالشكر ووعد الشاكرين بالمزيد، فقال: لئن شكرتم لأزيدنكم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، عباد الله: أيها المؤمنون: بالشكر تدوم النعم وتزيد، وبالجدود والكران تفتى وتبديد، عباد الله: اعلموا رحمكم الله أن الشكر من أعلى منازل العبودية، وهو ختام كل طاعة، وتمام كل عبادة، وما شرع الله لنا الصلاة إلا وأمرنا أن نختمها بالحمد والثناء عليه شكراً لله، فنقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام، وأستغفر الله ثلاثاً، والله أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، لأن الشكر هو سبب دوام النعم وزيادتها، والجدود سبب زوالها وفنائها، والإيمان نصفه صبر ونصفه شكر، ولا يقبل إيمان عبد إلا إذا جمع بين الصبر والشكر، أي لا يكون العبد مؤمناً حقاً إلا إذا كان صابراً شاكراً، فهما الجناحان اللذان يطير بهما المؤمن إلى الجنة، فلا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا إيمان لمن لا شكر له، وإن من أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد العبادات كلها شكر الله وحمده والثناء عليه بما هو أهله، والله تعالى يحب من عباده أن يشكروه بعد أداء كل العبادات، لأنه هو من فرضها وهدى إليها وأعان على أدائها، وهو من يتقبلها ويغفر التقصير فيها، لذلك ورد الشكر في نهاية العبادات كلها كاللحج، والصيام، والوضوء، والذبح، وغيرها، بل علمنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن ندعوه بعد كل صلاة: اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَيَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وهذا من أفضل الأدعية كما قال ابن تيمية رحمه الله، والله أمر عباده بمقرونته بالشكر فقال: بَلِ اللَّهُ فَاغْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَنِعْمَ اللَّهُ الدِّينِيَّةَ أَعْظَمَ مِنْ نِعْمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَمَنْ أَعْظَمَهَا: الْهُدَايَةَ، الْإِيمَانَ، الْإِخْلَاصَ، التَّقْوَى، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ.

وشكر الله على هذه النعم يتحقق بثلاثة أمور:

1- محبة الله على ما أنعم به علينا، لقوله تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث، ويقول ربنا: الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار،

2- الاعتراف القلبي أن النعم كلها منه لا نستحقها، إياكم ثم إياكم أن تعتقدوا أن ما تتمتعون به في حياتكم من حمدكم ومن تديبركم بل هو من نعم الله عليكم، يقول ربنا: وما بكم من نعمة فمن الله، سليمان عليه الصلاة والسلام لما جاءه عرش بلقيس، قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ، فكما أنه تعالى يُشكرك على التعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يُشكرك ويثني عليه بالتعم الدنيوية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل تعم الدين هي التعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر، التوفيق كله نعمة من الله يقول ربنا: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

3- استعمال النعمة فيما يرضي الله، فمن استخدم النعمة في الطاعة، فقد شكرها، ومن استخدمها في المعصية أو منع حقها، فقد كفر النعمة وجدها، أيها المصلون، أيها القائمون، أيها الحجاج: اشكروا الله الذي وفقكم للطاعة، واختاركم لأداء الشعائر، بينما حرم ذلك ملايين غيركم، قال تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وقليل من عباد الله من يشكر الله، كما قال: وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ، وقد علم إبليس أن الغفلة تمنع كثيراً من الناس من الشكر، فقال: وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، الشكر سبب رضا الله في الدنيا والآخرة، ومن شكر نال الرضا والفوز، كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم عبداً شكوراً رغم مغفرة ذنبه، فقام حتى تفترت قدماه، اللهم اجعلنا من الشاكرين، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، أمرنا الله بالشكر وراء كل العبادات، قال ربنا في الصيام: وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَعَلَّامٌ تَشْكُرُونَ، وفي الحج قال: ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، عباد الله: الشكر ليس باللسان فقط، بل يكون بالقلب واللسان والحواجر، قال تعالى: اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا، فالشكر الحقيقي هو طاعة الله، واستعمال التعم في مرضاته، وإذا شكرت الله زادك، وإن كفرت سلبك النعمة، قال تعالى: لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَقَالَ: مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنَّ شُكْرَكُمْ وَأَمْنَكُمْ، عباد الله: لنجعل الشكر دبر كل عبادة، فإن فيه تمام العمل، وحفظ النعمة، وجلب المزيد.

اللهم أجعلنا من الشاكرين.

خطبة الجمعة ليوم 20 يونيو 2025 م